تقديم

فضيلة الشيخ الدكتور صالح بن فوزان الفوزان

الحمد لله، وبعد:

فقد قرأتُ الرِّسالة التي بعنوان: «**من أخلاق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام**» تأليف الشيخ: عبدالعزيز بن محمَّد بن عبدالله السدحان، فوجدتها رسالةً مفيدةً في موضوعها، جيِّدة في عرضها وأسلوبها، تحثّ على الاقتداء بالأنبياء عملًا بقول الله تعالى: + فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ _ [الأنعام: ٩٠].

فجزاه الله خيرًا على ما كتب ونفع به، وصلى الله وسلم على نبيِّنا محمَّد وآله وصحبه.

كتبه:

صالح بن فوزان الفوزان

عضو هيئة كبار العلماء

٢٣/ ٣/ ١٤٢٨هـ

تقديم

فضيلة الشيخ الدكتور عبدالله بن عبدالرحمن الجبرين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربِّ العالَمين، وصلى الله وسلّم على أشرف المرسَلين، نبيِّنا محمد وآله وصحبه أجمعين، وعلى جميع الأنبياء والمرسلين، وبعد:

فقد قرأتُ هذه الرِّسالة التي تتعلق بأخلاق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، والتي ألّفها الشيخ الدكتور عبدالعزيز بن محمد السدحان وفّقه الله تعالى وسدّد خطاه، فوجدتها رسالةً قيِّمةً مفيدةً في هذا الموضوع الشريف، وهو: حسن الخلق وآثاره ونتائجه، وقد أورد ما تيسَّر له من الأخلاق الحسنة والتي دلّ عليها القرآن الكريم والسنّة النبوية الصحيحة، فأحسن في الانتقاء والاختيار وأجاد وأفاد، فننصح بنشر هذه الرسالة والاستفادة منها ليحصل التخلّق بهذه الأخلاق الشريفة وليقتدي الخلف بالسلف، حتى يحصل الانتفاع والتأثّر بهذه السمات الفاضلة ونتائجها.

وفّق الله تعالى هذه الأمَّة لما فيه الخير والصلاح، والله أعلم، وصلى الله على نبيِّنا محمد وآله وصحبه وسائر النبيِّين، وسلّم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.

عبدالله بن عبدالرحمن الجبرين

٥/ ٥/ ١٤٢٨هـ

مُقَدِّمَةٌ

الحمد لله ربِّ العالمين، وصلى الله وسلم على نبيِّنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أمَّا بعد:

فإنّ موضوع «أخلاق الأنبياء لإ» موضوع جدير بأن يُقرأ فيه، وأن يُتكلم فيه، وأن يسمع فيه؛ لأنّ فيه الخير كله، فالأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ هم الذين بلّغوا رسالات الله إلى أقوامهم، وهم صفوة خلق الله لأ، ولهم من الفضائل والخصال ما لا يُوصل ـ بل ما لا يُقرب ـ إلى مثله، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

وسأذكر في صدر هذه الرِّسالة(١) مقدّمات بين يدي الموضوع، وهذه المقدّمات فيها بيان لأهمية هذا الموضوع خصوصًا ولمقام النبوَّة عمومًا وخصوصًا كذلك:

---

(١) أصلها محاضرة ألقيت في «جامع أبي هريرة ت» مغرب يوم الثلاثاء ٩/ ٢/ ١٤٢٨هـ، ثمَّ ألقيت بعض معالمها في إذاعة القرآن الكريم يوم الثلاثاء ٧/ ٤/ ١٤٢٨هـ في برنامج «معكم على الهواء» مع الشيخ/ عبدالكريم المقرن، وكان ذلك وقت إعداد الكتاب للطبع.

*** المقدمة الأولى:**

أنّ من أسماء الله تعالى «الحكيم»، والحكيم هو: الذي يضع الأمور مواضعها.

إنّ في البشر حكماء، لكن حكمة البشَر مهما بلغت يَعتريها النقص والخلل.

أمَّا في شأن حكمة الله تعالى فحكمتُه بالغة في الكمال أعلاه، وبالغة في الكمال منتهاه، + **إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ** _ [الأنعام: ٨٣]، + **وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا** _ [النساء: ١٧]، + **وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ** _ [التحريم: ٢]، + **وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ** _ [الزخرف: ٨٤].

يُخبر الله تعالى بذكر هذه الصفات له، وهو **لأ** له الأسماء الحسنى وله الصفات العُلى.

*** المقدمة الثانية:**

من حكمة الله تعالى وعظيم صنعه في خلق الناس أن فاضل بينهم في الأنساب، وخالف بينهم في الألسنة والألوان، قال تعالى: + **وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّلْعَـٰلِمِينَ** _ [الروم: ٢٢].

فالناس فيهم الرَّئيس والمرؤوس، وفيهم الغني والفقير، وفيهم العَجَمي والعربي، وفيهم الفاضل والمفضول.

*** المقدمة الثالثة:**

في تغاير أحوال الناس واختلاف أنسابهم وعقولهم وعلومهم وكثرة أموالهم وغير ذلك حكم عظيمة، ومن تلك الحكم:

أنّ الحياة لا تكمل إلا بذلك، فلو كان الناس كلهم أغنياء لتعطلت منافع كثيرة، ولو كان الناس كلهم فقراء لتعطلت منافع كثيرة، ولكن قال تعالى: + وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّاۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ _[الزخرف: ٣٢]، +هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ_[التغابن: ٢].

فأنت إذا قلّبت الطرف في أحوال الناس على اختلاف أعصارهم وتباعد أقطارهم، واختلاف ألسنتهم وألوانهم... رأيت فروقا كثيرة: غني وفقير، سليم وعليل، رئيس ومرؤوس، مؤمن وكافر.. وهلم جرّا.

*** المقدمة الرابعة:**

مع تغيُّر أحوال الناس ومع تمايزهم.. إلّا أنّ الرِّفعة الحقيقية هي رفعة الإيمان بالله لأ، مهما تغايرت أنساب الناس وتكاثرت

أموال بعضهم على بعض، فالعبرة بالرِّفعة الحقيقية وهي رفعة الإيمان، + ﴿إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ﴾ _ [الحجرات: ١٣].

ولهذا يتفاضل الناس، ويزن الناس أنفسهم بموازين بميزان النسب.. ميزان المال.. ميزان الولد.. ميزان العشيرة.. وهذه الموازين بها يتفاضل الناس على بعضهم البعض، وبها في مجالسهم ومجتمعاتهم يزنون أنفسهم في غالب أحوالهم، إلّا ما شاء الله، وهذه الموازين لا قيمة لها إذا خَلَت من الميزان الحقيقي، ولهذا ميزان النسب باطل إذا لم يسخِّره صاحبه في طاعة الله ويستعن به على طاعة الله، ولهذا + ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ﴾ _ [المؤمنون: ١٠١].

ميزان كثرة المال والولد: + ﴿يَوۡمَ لَا يَنفَعُ مَالٞ وَلَا بَنُونَ ٨٨ إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ﴾ _ [الشعراء: ٨٨-٨٩].

ميزان العشيرة: + ﴿يَوۡمَ يَفِرُّ ٱلۡمَرۡءُ مِنۡ أَخِيهِ ٣٤ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ٣٥ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ﴾... _ [عبس: ٣٤-٣٦].

إذًا الميزان الحق والرفعة الحقيقية: + ﴿إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ﴾ _ [الحجرات: ١٣].

وليس على عبدٍ تقيٍّ نقيصةٌ
إذَا حقَّقَ التقوى وإِن حاكَ أو حَجَم

*** المقدمة الخامسة:**

الرِّفعة بالإيمان رفعتان:

١- الرفعة بالإيمان لأهله المؤمنين؛ فالمؤمنون مرتفعون على غيرهم من غير المؤمنين. + **وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ** _[آل عمران:١٣٩].

٢- وأهل الإيمان فيهم أناس يرتفعون على من سواهم من بقية المؤمنين بخاصية خصَّهم الله وفضَّلهم بها، وهي العلم.

وقد جمع الله الرِّفعتين في سورة المجادلة [الآية: ١١]، فقال لأ : + يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ _ هذه الرفعة الأولى بالإيمان + وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ _ وهذه الرفعة الثانية.

إذًا؛ الرِّفعة العامَّة هي لأهل الإيمان على غير المؤمنين، والرِّفعة الخاصة هي لأهل العلم من أهل الإيمان على سائر المؤمنين.

*** المقدمة السادسة:**

أهل الرِّفعة الخاصَّة بالعلم والإيمان يتفاوتون فيما بينهم؛ فالعلماء يتفاوتون بينهم، إلّا أنّ هناك منزلةً يصعُب التشوُّف لها

فضلًا عن قُربها، ناهيك عن بلوغها.. منزلة خصَّ اللهُ ‍لأ‍ بها أقوامًا من الناس، منزلة اصطفى الله لها أناسًا من خلقه، تلك المنزلة هي: منزلة النبوَّة والرِّسالة.

فأولئك الثلة المباركة من أنبياء الله ورسله ‍لإ‍ قد بلغوا منزلةً فضَّلهم الله - بها لن يصل إليها - بل لن يُقاربها - أحَدٌ من الناس.

تلك الثلة المباركة اصطفاهم الله: + ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ _ [الحج: ٧٥]، +ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥۗ _ [الأنعام: ١٢٤].

هذه الثلة المباركة: + إِنَّآ أَخۡلَصۡنَٰهُم بِخَالِصَةٖ ذِكۡرَى ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمۡ عِندَنَا لَمِنَ ٱلۡمُصۡطَفَيۡنَ ٱلۡأَخۡيَارِ _ [ص: ٤٦-٤٧].

نصر الله من نصرهم وآواهم: + إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ _ [غافر: ٥١].

وعاقب الله وأخزى من كذبهم وعاداهم: + وَلَقَدِ ٱسۡتُهۡزِئَ بِرُسُلٖ مِّن قَبۡلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنۡهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ _ [الأنبياء: ٤١].

❋ المقدمة السابعة:

أنّ الأنبياء والرُّسل ـ عليهم الصلاة والسلام ـ يتفاضلون فيما بينهم: + **تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ** _ [البقرة: ٢٥٣]. فأولوا العزم أفضل الرُّسل، وأفضل أولي العزم الخليلان إبراهيم ج ونبيُّنا محمدٌ ج، وأفضل الخليلين نبيُّنا محمدٌ ج، فهو ج أفضل الأنبياء والمرسلين بتفضيل الله تعالى له، عليه وعلى جميع الأنبياء والمرسلين أفضل وأزكى الصلاة والتسليم(١).

❋ المقدمة الثامنة:

من عظيم مكانة الأنبياء لا ورفيع منزلتهم وشريف مرتبتهم أنّ الفِطَر تطمئن لصادق دعوتهم، وصدق ألسنتهم

---

(١) هنا أمرٌ لا بُدّ أن نعلمه لأهميته في تقرير البدع والسنن؛ فتفضيل المكان وتفضيل الزمان، وتفضيل الإنسان.. مردُّها إلى الشارع الحكيم، فالرُّسل عليهم الصلاة والسلام يتفاضلون، والذي فاضل بينهم هو الله الذي أرسلهم، + تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ _، والبقاع تتفاضل، فالمساجد أفضل البقاع؛ لأنّ الشرع فضَّلها، والأزمنة تتفاضل، فلرمضان فضل وليوم عرفة فضل وليوم عاشوراء ولصيامه فضل.. وهكذا، فإذا رأيت من يفضِّل إنسانًا أو مكانًا أو زمانًا تفضيلًا شرعيًّا دون نصّ من الشرع فاعلم أن تفضيله ذاك بابٌ إلى البدعة.

ومقالهم، وأنّ العقول تقطع بصحة كلامهم وبحقيقة دعوتهم، والقلوب تطمئنّ وتستكين لصدق ما جاؤوا به.

وذلك لما للأنبياء ﵫ من عظيم الرُّتبة وشريف المنزلة، ولأنّ دعوتهم هي دعوة التوحيد، وهي الدعوة الحقّ، وما سواها فباطل.

❊ المقدمة التاسعة:

مع عظيم شرف الأنبياء ﵫ ورفيع مرتبتهم، إلّا أنهم بشر؛ يمرضون، ويحزنون، ويبكون، وتضيق صدورهم، ويموتون.. + وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۚ _ [النحل: ٤٣]، + فَلَعَلَّكَ تَارِكُۢ بَعۡضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ وَضَآئِقُۢ بِهِۦ صَدۡرُكَ _ [هود: ١٢]، + وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ _ [الشعراء: ٨٠]، + وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدۡرُكَ بِمَا يَقُولُونَ _ [الحجر: ٩٧].. فالأنبياء ﵫ بَشَرٌ ليس فيهم شيء من صفات الرُّبوبية أو الألوهية.

+ وَمَا جَعَلۡنَا لِبَشَرٖ مِّن قَبۡلِكَ ٱلۡخُلۡدَۖ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلۡخَٰلِدُونَ _ [الأنبياء: ٣٤]، + قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ إِنِّي مَلَكٌۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۚ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ _ [الأنعام: ٥٠].

*** المقدمة العاشرة:**

مع بشريتهم ـ عليهم الصلاة السلام ـ فقد خصَّهم الله تعالى بخصائص دون الناس، وهذه الخصائص لا تخرجهم عن دائرة البشرية ولكن الله ـ جلّ وعلا ـ خصَّهم واصطفاهم بها دون غيرهم.

فمن خصائص الأنبياء والرُّسل دون الناس: **الوحي**.

ومنها: **العصمة**.

ومنها: **أنّ أعيُنهم تنام لكن قلوبهم لا تنام**(١).

ومنها: **أنهم يُخيَّرون عند الموت هل تريد أن تبقى بشرًا مخلدًا أو أن تموت؟**(٢).

ومنها: **أنهم يُدفنون في المكان الذي ماتوا فيه**، وقد جاء في الحديث: «**ما قُبض نبيٌّ إلّا دُفن حيث يُقبض**»(٣).

ومنها: **أنّ الله لأ حرَّم على الأرض أن تأكل أجسادهم**(٤).

ومنها: **أنهم أحياءٌ في قبورهم يُصلّون**.

---

(١) في حديث أنس ت الطويل في الإسراء والمعراج قال: «... وكذلك الأنبياء تنام أعينُهم ولا تنام قلوبُهم». أخرجه البخاري (٧٥١٧).

(٢) كما في الصحيحين من حديث عائشة ب عن النبيِّ ج قال: «**ما من نبيٍّ يمرض إلّا خُيِّر بين الدنيا والآخرة**».

(٣) أخرجه ابن ماجه (١٦٢٨) عن أبي بكر ت بإسناد ضعيف، ولكن له طرق وشواهد يصحّ بها.

(٤) فإن قال قائل: قد يكون ذلك خاصية لغير الأنبياء من الشهداء؟ فيقال: نعم، لكنها خاصية لجميع الأنبياء لإ بخلاف غيرهم، فقد يُنعم على بعضهم دون بعض.

* المقدمة الحادية عشرة:

كما أنّ للأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ خصائص دون الناس، فإنّ أفضلهم وهو نبيُّنا محمدٌ عليه الصلاة والسلام، له خصائص دون سائر الأنبياء ﷺ ، فهو يشارك الأنبياء ﷺ فيما سبق من الخصائص ويزيد عليهم بخصائص له دون غيره.

ففي حديث أبي هريرة ؓ قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**فُضِّلتُ على الأنبياء بستّ: أُعطِيتُ جوامعَ الكَلِم، ونُصِرتُ بالرُّعب، وأُحِلّت لي الغنائم، وجُعِلت لي الأرضُ طهورًا ومسجدًا، وأُرسِلتُ إلى الخلق كافة، وخُتِم بِي النبيُّون**»[١].

وعن جابر بن عبدالله ؓ : أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**أُعطِيتُ خمسًا لم يُعطَهُنَّ أحَدٌ قَبلي: نُصِرْتُ بالرُّعب مسيرةَ شهر، وجُعِلَت لي الأرض مسجدًا وطَهُورًا فأيُّما رجل من أمَّتي أدركتهُ الصلاةُ فليصلِّ، وأُحِلّت لي المغانم ولم تحلَّ لأحدٍ قبلي، وأُعطِيتُ الشفاعة، وكان النبيُّ يُبعَثُ إلى قومه خاصَّة وبُعثتُ إلى الناس عامَّة**»[٢].

---

(١) أخرجه مسلم.

(٢) أخرجه الشيخان.

فمن خصائص نبيِّنا محمَّد ج:

١- أنه ج أُعطي جوامعَ الكَلِم: كما تقدّم في حديث أبي هريرة ت قريبًا. وذكر بعضُ الشُّرَّاح أنّ «جوامع الكلم» أن يتكلم كلمةً أو جملة يَدخُل تحتها الكثير من المعاني العظيمة الجميلة.

٢- أنّ الله ﻷ نَصَرَهُ ج بالرُّعب مسيرة شهر.

قال الحافظ ابن حجر : تحت حديث جابر بن عبدالله ب المتقدِّم: «مفهومُه أنه لم يوجَد لغيره النصرُ بالرُّعب في هذه المدّة ولا في أكثرَ منها، أمَّا ما دونَها فلا، لكن لفظ رواية عمرو بن شعيب: «**ونُصرتُ على العدوِّ بالرُّعب ولو كان بيني وبينهم مسيرة شهر**»، فالظاهر اختصاصُه به مطلقًا، وإنما جَعَل الغاية شهرًا لأنه لم يكن بينَ بَلَدِه وبين أحَدٍ من أعدائه أكثرُ منه، وهذه الخصوصية حاصلةٌ له على الإطلاق حتى لو كان وحدَه بغير عسكر، وهل هي حاصلةٌ لأمَّته من بعده؟ فيه احتمال»[(١)].

٣- أنّ الغنائم أُحِلّت له ج، بخلاف من قبله.

---

(١) «فتح الباري» (١/ ٥٢١).

٤- أنّ الأرض جُعِلَت له ج ولأمَّته مسجدًا وطَهُورًا، بخلاف من كان قبله فإنهم لا يُصَلّون إلّا في أماكن الصلاة.

٥- أنه ج خاتم الرُّسُل وأفضلهم وأكثرهم تابعًا يوم القيامة.

٦- أن رسالته ج للناس كافّة، فقد كان كلُّ نبيّ يُرسَل إلى قومه، أمَّا نبيُّنا ج فقد بُعِثَ إلى الناس كافة. + وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا _ [سبأ: ٢٨]، + قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا _ [الأعراف: ١٥٨].

٧- بقاء مُعجِزته الخالدة وهي القرآن الكريم، وهو محفوظٌ بحفظ الله تعالى، + إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ _ [الحجر: ٩].

٭ المقدمة الثانية عشرة:

من لوازم منزلة الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ أنهم إذا كانوا أفضل البشر، فإنّ من لازم ذلك أنّ أخلاقهم أفضل الأخلاق، وأنّ آدابهم أفضل الآداب على الإطلاق، فهم أهل السَّمت والمروءة والأخلاق النبيلة والصفات الشريفة، عليهم الصلاة والسلام.

* المقدمة الثالثة عشرة:

لعظيم شأن الأنبياء لإ وعظيم شأن أخلاقهم وهديهم ودعوتهم، فإنّ الله لأ أمر أفضلَهم ـ وهو نبيُّنا محمدٌ عليه الصلاة والسلام ـ أن يقتدي بهداهم فقال ـ له ج: + أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ _ [الأنعام: ٩٠] أي: يا محمد، اقتدِ بهُدَى الأنبياء من قبلك.

* المقدمة الرابعة عشرة:

لزم النبيُّ ج ذلك وسار على هدي إخوانه الأنبياء لإ ، وزاده الله تعالى فضلًا فكان أعظمَ الأنبياء لإ منزلةً، وكانت أخلاقُه أعظمَ الأخلاق وأشرفَها.

فلقد زكَّى اللهُ لسانه: + وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ _ [النجم: ٣].

وزكى الله بصرَه: + مَا زَاغَ ٱلۡبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ _ [النجم: ١٧].

وزكى الله خُلُقَه: + وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ _ [القلم: ٤].

قال بعض علماء الشافعية: وتعظيم العظماء للشيء يَدُلّ على توغّله في العظمة، فكيف إذا كان المعظِّم هو أعظمُ العظماء، وهو الله ـ .

*** المقدمة الخامسة عشرة:**

أمرَنا الله ـ جلّ وعلَا ـ بلزوم الاقتداء بنبيِّنا محمَّد ج:
+ **لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأَخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا** _ [الأحزاب: ٢١].

أمرَنا بالسَّير على نهجه وبالاقتداء بهديه وشريف أخلاقه وصفاته، وجميعُ صفاته ج نبيلة.

*** المقدمة السادسة عشرة:**

عظّم الإسلامُ شأنَ الأخلاق وذلك من وجوهٍ كثيرة، منها:

١- أنّ الله تعالى أثنى على نبيه ج بعظيم خُلقه الفاضل:
+ **وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ** _ [القلم: ٤].

٢- أنّ النبيَّ عليه الصلاة والسلام ـ وهو أعظم وأفضل البشر أخلاقًا ـ كان يدعُو ربَّه بأن يَرزُقه حُسن الأخلاق:
«**واهدني لأحسنِ الأخلاق لا يَهدي لأحسنها إلّا أنت**»[(١)]،
«**اللهمَّ كما حسَّنت خَلقي فحَسِّن خُلُقي**»[(٢)].

---

(١) أخرجه مسلم (٧٧١) من حديث عليّ ت ، وأوّله: «كان ج إذا قام إلى الصلاة قال: وجّهتُ وجهي للذي فطر السموات والأرض...» الحديث.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في «المسند» (١/ ٤٠٣) من حديث ابن مسعود ت ، وكذا (٦/ ٦٨، ١٥٥) من حديث عائشة ل .

٣- أنّ الإسلامَ جَعَل حُسن الأخلاق قُربةً قد تُسَاوي بعض القُرَب العظيمة. قال ج: «**إنّ الرَّجُل لَيُدْرِك بحُسن خُلقه درجةَ القائم بالليل الصائم بالنهار**»[١].

٤- أنّ النبيَّ ج بَيَّن أنّ أقربَ الناس إليه يوم القيامة أحسنُهم أخلاقًا. قال ج: «**إنَّ أحبّكم إليَّ وأقربكم منِّي مَنزلًا يومَ القيامة أحاسنكم أخلاقًا**»[٢].

٥- الحذر والتحذير من سيِّئِها. قال ج: «**واصرف عنِّي سيِّئها لا يصرفُ عنِّي سيِّئَها إلّا أنت**»[٣].

٦- أنه ج بيَّن أنّ الأخلاق تؤثِّر على العمل صلاحًا أو فسادًا، قال ج: «**أحبُّ الناس إلى الله تعالى أنفعُهم للناس...**» الحديث، وفي آخره: «... **وإنّ سُوءَ الخُلُق يُفسِد العملَ كما يُفسِد الخلُّ العسلَ**»[٤].

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٧٩٨)، وأحمد (٦/ ١٨٧) من حديث عائشة ل .

(٢) أخرجه أحمد (٤/ ١٩٣)، وابن حبان (٥٥٥٧-الإحسان) من حديث أبي ثعلبة الخُشَني ت .

(٣) أخرجه مسلم (٧٧١) من حديث علي ت ، وتقدّم قريبًا.

(٤) أخرجه الطبراني في «الكبير» (١٢/ ٤٥٣)، وابن أبي الدنيا في «قضاء الحوائج» (ص٤٧). وحسّنه الألباني في «الصحيحة» (٩٠٦).

*** المقدمة السابعة عشرة:**

مِمّا تقدّم من عظيم شأن الأنبياء **لإ** وشأن أخلاقهم، وما للأخلاق في الإسلام عند الله **لأ** من المنزلة الرَّفيعة والدرجات المنيفة.. حَريّ بكلِّ مسلم أن يُعنَى بتهذيب أخلاقه، وأن يكون حَسَن الأخلاق في جميع جوارحه وفي جميع مجالسه، وأن يستشعر منزلةَ الخلق الحسن، وأن يَعلم أنّ الأخلاق الحسنة دعوةٌ صامتة، فكم دخل في الإسلام من قوم بسبب الأخلاق الحسنة، وكم أبغض الإسلامَ من أقوام وزاد بُغضُهم للإسلام بسبب سيِّئ الأخلاق، فحريٌّ بكلِّ مسلم أن يَرعَى هذا الجانب فيما يتعلق بتحسين أخلاقه.

*** المقدمة الثامنة عشرة:**

بعد هذه المقدّمات أختم بمقدمة أخيرة، وهي: أنّ أيّ خُلُق ذَكَره الله **لأ** في بعض أنبيائه، فهو في جميع الأنبياء **لإ**؛ لأنّ بعضهم يقتدي ببعض، وكل واحد منهم يقتدي بمن قبله.

وبعد سياق تلك المقدّمات الثماني عشرة.. أسوق بعضَ ما يسَّر الله تعالى من أخلاق الأنبياء والرُّسل عليهم الصلاة والسلام، فأقول وبالله تعالى التوفيق:

خشيتهم لا لأ

من أخلاق الأنبياء لا : أنهم أكثر الناس خشيةً لربِّهم.

فهم لا أعلم الناس بالله: + إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْۗ _ [فاطر: ٢٨]. والأنبياء لا أخشى الناس لله لأ ، لهذا فمن تأمَّل في الآيات الكريمة وفي الأخبار النبوية عن الأنبياء لا رأى عشرات ـ بل مئات ـ الأمثلة:

فآدم ؛ : قال الله لأ عنه: + وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ _ [الأعراف: ٢٢]. فبادر ؛ : + قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ _ [الأعراف: ٢٣].

ونوحٌ ؛ : لمّا سأل ربَّه لأ نجاة ابنه وتبيَّن أنه لم يوفّق إلى الصواب، وبيَّن له ربُّه خطأ ذلك منه، بادر ؛ ولم يتوانَ واستغفر ربَّه: + وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ

أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۖ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ _ [هود: ٤٥-٤٦]. فبادر ؛ خشيةً وخوفًا وطمعًا في مرضاة الله لأ وخشية عقابه وسخطه: + قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنۡ أَسۡـَٔلَكَ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞۖ وَإِلَّا تَغۡفِرۡ لِي وَتَرۡحَمۡنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ _ [هود: ٤٧].

يونس ذو النون ؛ : غضب على قومه وسخط عليهم ولم يصبر، لكن لما نبَّهه ربُّه لأ رجع فبادر ولم يتوانَ: + وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ _ [الأنبياء: ٨٧]. وفي سورة الصافات: + فَلَوۡلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِي بَطۡنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ ۞فَنَبَذۡنَٰهُ بِٱلۡعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٞ ﴿١٤٥﴾ وَأَنۢبَتۡنَا عَلَيۡهِ شَجَرَةٗ مِّن يَقۡطِينٖ _ [الصافات: ١٤٣-١٤٦]... فدعا ؛ ربَّه لأ ووحَّده وسأله أن يُنجيه، فاستجاب الله ـ ذلك له.

وموسى ؛ : وَكَز رجلًا فمات وتبيَّن له خطأ ذلك الأمر: + قَالَ هَٰذَا مِنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِۖ إِنَّهُۥ عَدُوّٞ مُّضِلّٞ مُّبِينٞ _ [القصص: ١٥]. ثمَّ سارع ؛ فاعترف أنه ظلم نفسه وسأل الله

المغفرة: +قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَٱغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُۥٓۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ_ [القصص: ١٦].

داود ؛ : كان كسائر إخوانه الأنبياء **لإ** سريعًا في الأوبة والعودة لما امتحنهُ الله **لأ** في الحكم بين الخصمين: + وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ_ [ص: ٢٤].

وبكلِّ حال؛ فمع ما للأنبياء ؛ من المنازل المنيفة والرُّتَب النبيلة الشريفة.. فقد كانوا أسرعَ الناس أوبةً إذا تبيَّن أنهم أخطؤُوا.

أدبهم لإ مع ا لأ

ومن أخلاق الأنبياء لإ : أنهم أعظمُ الناس أدبًا مع الله لأ .

ومن شواهد ذلك ما قصَّ اللهُ تعالى في القرآن علينا في شأن عيسى ؛ عندما قال الله تعالى له ـ وهو تعالى يعلم ذلك ـ: + ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ _ [المائدة: ١١٦].

فهو ؛ لم يَقُلْه، فدعوته ودعوة جميع الأنبياء لإ إلى التوحيد وهدم الشرك، ولكن عيسى ؛ سلك مسلكَ أدب الأنبياء لإ مع ربِّهم ـ .

قال ابن كثير رحمه الله تعالى: «وهذا توفيق للتأدّب في الجواب الكامل».

عدم انتقامهم لإ لأنفسهم

ومن أخلاق الأنبياء لإ : أنهم لا ينتقمون لأنفسهم ولا ينتصرون لها، بل كان همُّهم ومقصدهم مرضاة ربِّهم لأ، فلا ينتقمون إلّا إذا انتُهِكت حُرُمات الله تعالى، أمَّا لأنفسهم فلا.

يعقوب ؛ : لمّا عَلِم أبناؤه بافتضاح أمرهم وعلموا بخطئهم وعلموا أنّ يوسف موجودٌ وحيٌّ يُرزَق في ذلك الوقت.. رجعوا منكسرين إلى أبيهم: + قَالُواْ يَـٰٓأَبَانَا ٱسۡتَغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَـٰطِـِٔينَ _ [يوسف: ٩٧]... ومع أنّ يعقوب ؛ ذاقَ الأمرَّين من بُعد يوسف عنه ومِن مكر إخوانه به ومن كذبهم عليه.. مع هذا كلّه: + قَالَ سَوۡفَ أَسۡتَغۡفِرُ لَكُمۡ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ _ [يوسف: ٩٨].

ثمَّ هنا مسألة: لماذا قال: «سوف أستغفرُ» ولم يقل: «سأستغفر» ولم يدعُ لهم مباشرة؟

أجاب بعض المفسِّرين بأنه أخَّر دعاءَه لهم إلى السَّحَر لأنه أرجَى للإجابة، ولهذا أثنى الله تعالى على المستغفرين بالأسحار

وقال ـ : + وَٱلۡمُسۡتَغۡفِرِينَ بِٱلۡأَسۡحَارِ _ [آل عمران: ١٧].

ويوسف ؛ : كذلك لم ينتقم من إخوانه مع شناعة ما فعلوا به، ومع قُدرته على الانتقام منهم، إنما قال لما علموا أمره: + قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِيۖ قَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَآۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ _ [يوسف: ٩٠]، فقال إخوته: + قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدۡ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ _ [يوسف: ٩١].. هل انتقم؟ أو وبَّخ؟ هل فعل؟ حاشا وكلّا.. لأنهم الأنبياء أهل الخلق الرَّفيع، بل قال: + لَا تَثۡرِيبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَۖ يَغۡفِرُ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ _ [يوسف: ٩٢].

بل بلغ من عظيم أدبه ـ عليه الصلاة والسلام ـ أنه لما اجتمع شمله مع أبيه وإخوته قال: + وَقَدۡ أَحۡسَنَ بِيٓ إِذۡ أَخۡرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجۡنِ _ [يوسف: ١٠٠]، ولم يقل: ومن الجُبّ، حتى لا يَجرَح مشاعر إخوانه، ثمَّ قال: + مِنۢ بَعۡدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بَيۡنِي وَبَيۡنَ إِخۡوَتِيٓۚ _، مع أنَّ الشيطان لم يَنزَغ من جهته ولكنه نَزَغ من جهة إخوته، ولكن كلّ ذلك من باب عدم جرح مشاعر إخوته، فلم ينتقم ـ عليه الصلاة والسلام ـ لنفسه.

أمَّا نبيُّنا محمد ج: قالت عائشة ل : «ما انتقم رسول الله ج لنفسه في شيء قط، حتى تُنتهك حُرُمات الله»[١].

كان ـ عليه الصلاة والسلام ـ يُخطأ عليه ويُساء إليه ولكنه كان يعذر ويلتمس العذر؛ لأنه كما ذكر الله عنه: + وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ _ [القلم: ٤].

عن أنس ابن مالك ت قال: «خرجتُ مع النبيِّ ج وعليه بُرْدٌ نَجراني غليظ الحاشية، فجاء رجلٌ فجَبَذَ البُرد حتى أثَّر البُرْدُ في صفحة عُنُق النبيِّ ج ثمَّ قال: يا محمَّد، مُرْ لي من مال الله الذي عندك! فالتفت إليه رسول الله ج ثمَّ ضحك ثمَّ أمرَ له بعطاء[٢].

لقد أساء هذا الرَّجُل الفعل حين جَبَذَ البُرد وأساء بالقول لغلظة الخطاب وشدَّته.

ولقد كان بمقدور النبيِّ ـ عليه الصلاة والسلام ـ أن يُعاقبه وأن يُعزِّره وأن لا يُعطيه شيئًا، ولكنه كما قال الله تعالى عنه: + بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ _ [التوبة: ١٢٨].

---

(١) متفق عليه من حديث عائشة ل .

(٢) متفق عليه من حديث أنس ت .

وفي «المسند» أنّ النبيَّ ج لما قسّم بعضَ الغنائم أعطى المؤلفةَ قلوبُهم وتركَ الأنصار، فكأنَّ بعض الأنصار وجَدَ في نفسه من ذلك، فلمَّا بلغ الخبرُ النبيَّ ـ عليه الصلاة والسلام ـ جمعهم مع علمه بما قالوا ومع قُدرته على أن يعاقب من قال، ولكن انظر إلى عظيم الأدب ورفيع الخلق حيث قال: «**يَا مَعْشَرَ الأنصَار، مَا قَالَةٌ بَلَغَتْنِي عَنكُم؟**»، لم يقل: إنكم قلتُم، مع أنهم قالوا ذلك.

ثمَّ قال ج لهم: «**أَمَا وَالله لَوْ شِئْتُمْ لَقُلْتُمْ فَلَصَدَقْتُمْ وَصُدِّقْتُمْ: أَتَيْتَنَا مُكَذَّبًا فَصَدَّقْنَاكَ، وَمَخْذُولًا فَنَصَرْنَاكَ، وَطَرِيدًا فَآوَيْنَاكَ، وَعَائِلًا فَأَغْنَيْنَاكَ، أَوَجَدْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ فِي لُعَاعَةٍ مِنْ الدُّنْيَا تَأَلَّفْتُ بِهَا قَوْمًا لِيُسْلِمُوا وَوَكَلْتُكُمْ إِلَى إِسْلَامِكُمْ؟ أَفَلَا تَرْضَوْنَ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالشَّاةِ وَالْبَعِيرِ وَتَرْجِعُونَ بِرَسُولِ الله ـ ج ـ فِي رِحَالِكُمْ؟ فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوْلَا الْهِجْرَةُ لَكُنْتُ امْرَأً مِنْ الْأَنْصَارِ، وَلَوْ سَلَكَ النَّاسُ شِعْبًا وَسَلَكَتْ الْأَنْصَارُ شِعْبًا لَسَلَكْتُ شِعْبَ الْأَنْصَارِ، اللَّهُمَّ ارْحَمْ الْأَنْصَارَ وَأَبْنَاءَ الْأَنْصَارِ وَأَبْنَاءَ أَبْنَاءِ الْأَنْصَارِ**». فَبَكَى الْقَوْمُ حَتَّى أَخْضَلُوا لِحَاهُمْ، وَقَالُوا: رَضِينَا بِرَسُولِ اللهَّ قِسْمًا وَحَظًّا»[١].

فانظر إلى كمال الأخلاق النبويَّة، وانظر إلى عدم الانتقام للنفس.

---

(١) «مسند الإمام أحمد» (٣/ ٧٦) من حديث أبي سعيد الخدري ت .

شكرهم لإ لأ

ومن أخلاق الأنبياء لإ : أنهم أشكر الناس لله لأ .

نوح ؛ : لقد وصف الله نوحًا ؛ بأنه عبدٌ شكور، فقال ـ : +ذُرِّيَّةَ مَنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٍۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبۡدٗا شَكُورٗا _ [الإسراء: ٣].

إبراهيم ؛ : أثنى الله عليه بقوله: +إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةٗ قَانِتٗا لِّلَّهِ حَنِيفٗا وَلَمۡ يَكُ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرٗا لِّأَنۡعُمِهِۚ ٱجۡتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ _ [النحل: ١٢٠-١٢١].

سليمان ؛ : ذكر الله تعالى في كتابه أنه قال: +رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ _ [النمل: ١٩]، وقال أيضًا: +هَٰذَا مِن فَضۡلِ رَبِّي لِيَبۡلُوَنِيٓ ءَأَشۡكُرُ أَمۡ أَكۡفُرُۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشۡكُرُ لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيّٞ كَرِيمٞ _ [النمل: ٤٠].

موسى ؛ : حثه الله على الشكر مع أنه من الشاكرين: + يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي فَخُذۡ مَآ

ءَاتَيۡتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ _ [الأعراف: ١٤٤].

وقال ؛ : + كَيۡ نُسَبِّحَكَ كَثِيرٗا ٣٣ وَنَذۡكُرَكَ كَثِيرًا _ [طه: ٣٣-٣٤].

نبيُّنا محمَّد ج: كان أشكر الناس لله تعالى مع شريف منزلته وعظيم مرتبته، فقد كان ـ عليه الصلاة والسلام ـ يقوم الليل حتى تتفطر قدماه، فلمَّا كُلِّم في ذلك وقيل له: لم تفعل كلّ هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخَّر؟ قال ج: «**أفلا أكون عبدًا شكورًا؟**»[(١)].

ولعظيم أمر شُكر الله تعالى حثّ ـ عليه الصلاة والسلام ـ أمته على شكر الله لأ، ولهذا كان من عظيم هذه العبادة ـ أعني شكر الله تعالى ـ أنها عند الله تعدل أكثر من النعمة نفسها.

وقال ج: «**مَا أنعمَ اللهُ على عبدٍ نِعمةً فشَكَرَ اللهَ عليها إلّا كان الذي أعطى أفضلَ من الذي أخَذَ**»[(٢)].

أي: كان الذي أعطى من الشكر أفضل من الذي أخذ من النِّعَم.

---

(١) متفق عليه من حديث المغيرة ت.

(٢) أخرجه ابن ماجه (٣٨٠٥) من حديث أنس ت. وحسّن إسناده البوصيري في «الزوائد».

مسارعتهم لا في الخيرات

ومن أخلاق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام: أنهم أسرع الناس في فعل الخيرات.

فهم لا يتوانون عن فعل الخير. + إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ..._ [الأنبياء: ٩٠].

نبيُّنا ج قال: + ... وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ _ [الأنعام: ١٦٣].

زكريا ؛ : قال الله تعالى عنه: +وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَـٰشِعِينَ _ [الأنبياء: ٨٩-٩٠].

ولهذا حثّ الله لأ على المسارعة والمسابقة إلى فعل الخير فقال: + سَابِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ _ [الحديد: ٢١]، +وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ _ [آل عمران: ١٣٣]. فالمسابقة إلى فعل الخيرات من أعمال الأنبياء لإ وأخلاقهم.

وفاؤهم لا بالوعد

ومن أخلاق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام: أنهم أوفى الناس بالوعد إذا عاهدوا وواعدوا.

والعهد عهدان:

١- العهد مع الله.

٢- العهد مع الناس.

والأنبياء عليهم الصلاة والسلام أوفى الناس بالعهد. + وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ _ [آل عمران: ٨١].

أخذ الله عليهم بهذا العهد أنه إذا بُعث محمدٌ ج وأحدٌ منهم حيٌّ أن يتّبعه فالتزموا بذلك، فوفّوا بما عاهدوا عليهم الصلاة والسلام.

أمَّا مع الناس فكانوا أوفى الناس بالعهد، ولهذا مدح الله

إسماعيل ؛ فقال: + إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا _ [مريم: ٥٤].

فنستفيد من هذا عظيم شأن الوفاء بالوعد، ولهذا جعل النبي ج الإخلاف بالوعد من صفات المنافقين، فقال عليه الصلاة والسلام: «**أربعٌ مَن كنَّ فيه كان منافقًا خالصًا، ومن كانت فيه خلّةٌ منهنَّ كانت فيه خلّة من نفاق حتى يدعها...**» وذكر من ذلك: «... **وإذا وعد أخلف**»[1].

وعلى هذا؛ فينبغي أن يكون المسلم عامة وطالب العلم بخاصة من أبعد الناس عن تلك الخصال السيِّئة، وأن يكون مثالًا يُحتذى في الوفاء بالوعد، والعجيب أنّ الجاهليِّين كان يعدُّون إخلاف الوعد من عظائم الأمور.

قال عوف بن النعمان ـ وكان في الجاهلية الجهلاء ـ: «أن يموت الرجل عطشًا خيرٌ له من أن يكون مخلافًا لموعد»[2].

وأما الآثار في ذمّ إخلاف الوعد فكثيرة، منها:

(١) متفق عليه من حديث ابن عمرو ب .

(٢) «أدب الإملاء والاستملاء» (ص٤١)، «تاريخ بغداد» (٣/ ١٤٢)، «تجريد أسماء الصحابة» للذهبي (ص٤٢٩).

ما روي عن سليمان بن داود إ أنه قال لابن له: «يا بُنَي، إذا وعدتَ فلا تُخلف فتستبدل بالمودّة بُغضًا»[١].

وقال عبدالله بن أحمد بن حنبل: حدّثني هارون بن سفيان المستملي قال: قلت لأبيك أحمد بن حنبل: كيف تعرف الكذّابين؟ قال: بمواعيدهم.

وكانوا يتحاشون الموعد خشية الإخلاف.

قال محمد بن إدريس الحنظلي: قلت لقبيصة: تعدني؟ فقال: إذا جئتني فرأيتني لقيتني[٢].

ومن جميل ما قيل في الموعد من الشعر:

إذا قلت في شيءٍ نَعَم فأتمَّهُ ... فإنَّ نَعَمْ دَينٌ على الحرِّ واجبُ
وإلّا فقُل لا واسترح وأرِحْ بها ... لئلّا يقولَ الناسُ إنكَ كاذبُ

وقول الآخَر:

إذا اجتمع الآفات فالبخل شرُّها ... وشرٌّ من البخل المواعد والمطل
فلا خيرَ في قولٍ إذا كان كاذبًا ... ولا خيرَ في قولٍ إذا لم يكن فعل

(١) «أدب الإملاء» (ص٤١).

(٢) «أدب الإملاء» (ص٤٢).

معرفتهم لا حق الوالدين

ومن أخلاق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام: معرفة حقّ الوالدين، وفي شأن مقام الوالدين يقال:

لقد تهاون كثيرٌ من الناس بأمر البرِّ بالوالدين وأهملوا شأنه، وهذا من الخطورة بمكان.

فكم هَدَم عقوق الوالدين من بيوت، وكم فرَّق بين المرء وزوجه، وكم أفقر من أناس، وكم عذّب بسببه في الدنيا من أناس.. وحقّ الوالدين في الآخرة عند الله عظيم.

وقد كان أنبياء الله لا أبرَّ الناس بالوالدين.

نوح ؛ قال: + رَّبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ _ [نوح: ٢٨]. وكانا مسلمَين.

يحيى ؛ قال الله لأ عنه: + وَبَرَّۢا بِوَٰلِدَيۡهِ وَلَمۡ يَكُن جَبَّارًا عَصِيّٗا _ [مريم: ١٤].

عيسى ؛ قال: + وَبَرَّۢا بِوَٰلِدَتِي ..._ [مريم: ٣٢].

سليمان ؛ قال: + رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ _ [النمل: ١٩].

يوسف ؛ كان بارًّا بيعقوب ؛ . + فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيۡهِ أَبَوَيۡهِ وَقَالَ ٱدۡخُلُواْ مِصۡرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَرَفَعَ أَبَوَيۡهِ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ _ [يوسف: ٩٩-١٠٠].

ويعقوب ؛ كان بارًّا بإسحاق ؛ .

وإسماعيل وإسحاق إ كانا بارَّيْنِ بإبراهيم ؛ .

وإبراهيم ؛ كان بارًّا بأبيه أعظم البرّ وهو كافر.

وقد يقال: كيف يكون إبراهيم بارًّا بأبيه مع أن أباه على غير دينه؟

فيقال: إنّ إبراهيم ؛ خاطب أباه فقال: + يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا _ [مريم: ٤٢-٤٥].

فهل هناك بِرٌّ بالعاصي أفضل من هذا البرّ؟ وهل هناك عبارات بُنُوَّة إلى مقام الأبوَّة أرقّ وأرحم وألطف وأحكم من هذه الكلمات؟

يقول بعض المفسِّرين رحمهم الله: تلطف الخليل ؛ مع أبيه وخاطبه بأرقّ الخطاب، فقد تحبَّب الخليل ؛ إلى أبيه أربع مرَّات بقول + يَـٰٓأَبَتِ _ مبيِّنًا له خطأه، وعظيم وخم العاقبة، وأنّ عنده علمًا قد خفي على أبيه، ولم يزل معه بل كان يستغفر له حتى نهاه الله لأ: + وَمَا كَانَ ٱسۡتِغۡفَارُ إِبۡرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوۡعِدَةٖ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوّٞ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنۡهُۚ _ [التوبة: ١١٤].

وأما نبيُّنا محمدٌ عليه الصلاة و السلام فقد كان بارًّا بأبويه، وقد يقال: كيف يكون ذلك وقد مات أبواه قبل البعثة؟

فيقال: أليس قد استأذن ربَّه لأ أن يزورَ قبر أمِّه فأذن له، واستأذنَه أن يستغفر لها فأبى عليه، فبكى ج بُكاءً شديدًا حتى أبكى من حولَه[1]، وأنه ـ عليه الصلاة والسلام ـ كان بارًّا بأعمامه، وقد جاء في الحديث: «**عمّ الرَّجُل صِنْوُ أبيه**»[2] أي: في

(١) أخرجه مسلم (٩٧٦) من حديث أبي هريرة ت .

(٢) أخرجه مسلم (٩٨٣) من حديث أبي هريرة ت .

مقام أبيه، وقد كان ـ عليه الصلاة والسلام ـ أبرّ الناس بأعمامه وهم في مقام أبيه.

وأعمام النبي ج انقسموا إلى أقسام ثلاثة:

قسمٌ آمنَ به ونصره، كالعباس وحمزة ب .

قسمٌ نصرهُ ولكن لم يؤمن به، وهو أبو طالب.

قسمٌ عاداه وحاربه وآذاه، وهو أبو لهب.

ومع هذا كلِّه كان ـ عليه الصلاة والسلام ـ بارًّا بهم حريصًا على هدايتهم، حتى إنه بقي عند فراش عمِّه أبي طالب حتى خرجت روحُه وهو يقول له: «**يا عمّ، قل لا إله إلا الله كلمة أحاجُّ لك بها عند الله**»[١]، أرأيت هذا البرَّ العظيم؟ ما زال مع عمِّه حتى خرجت روحُه فقال ج: «**لأستغفرنَّ لكَ ما لم أُنهَ عنك**»[٢].

وكان ج يُجِلّ حمزة والعباس ب ، فيجل حمزة ت في حياته قبل أن يُستشهَد، ويُجِلّ العباس ت ويخاطبه: «**يا عمَّاه**»، ويَقبل شفاعتَه، وهذه من أعظم البرِّ من النبي ج.

(١) متفق عليه من حديث المسيب ت .

(٢) قطعة من الحديث السابق.

حرصهم لا
على أولادهم وأهليهم ووالديهم

ومن أخلاق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام: أنهم أحرص الناس على أولادهم وأهليهم ووالديهم.

نوح ؛ : من بالغ عنايته ؛ بأهل بيته أنه ما زال يدعو ابنَه ويستعطفه ويرغِّبُه ليركب معهُ في سفينه النجاة: + يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلۡكَٰفِرِينَ _ [هود: ٤٢]، ومع هذا كله ما فارقه بل ما زال يدعوه ويتلطف إليه لعله يستجيب، ولكن ذلك الابن استمرَّ على عصيانه وقال: + سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٖ يَعۡصِمُنِي مِنَ ٱلۡمَآءِۚ _ [هود: ٤٣]، ومع رحمة الأبوة والحرص على الذرية + قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلۡيَوۡمَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَۚ _، وما زال معه حتى فرق بينهما +وَحَالَ بَيۡنَهُمَا ٱلۡمَوۡجُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡمُغۡرَقِينَ _.

إبراهيم ؛ : من حرصه على أهله وذرِّيته أنه دعا الله لأ أن يَهَبَ ذرِّيته ما وهبه الله إليه. قال تعالى: +وَإِذِ ٱبۡتَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٖ فَأَتَمَّهُنَّۖ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامٗاۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِيۖ قَالَ

لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ _ [البقرة: ١٢٤].

وقال الله لأ على لسانه: + رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ _ [البقرة: ١٢٨].

بل بلغ من حرصه على ذرِّيته أنه دعا ربَّه: +رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ _ [إبراهيم: ٣٥].

وهذا من فقه الخليل ؛ ، بل إنّ هذا من أعظم البرّ حيث دعا ربَّه أن يحفظ ذرِّيتَه من الكفر به وعبادة الأصنام.

قال إبراهيم التيمي : : «مَن يَأمَنُ البلاء على نفسه بعد الخليل ؛ ؟»[1].

يعقوب ؛ : كان حريصًا على ذرِّيته، فعندما أخبره يوسف ؛ برؤياه قال له: +يَٰبُنَىَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيْدًا _ [يوسف: ٥]، يخشى ؛ أن تتفرَّق الأسرة.

ولما أرادوا الرجوع إلى مصر مرَّةً أخرى أوصاهم ؛ فقال: + يَٰبَنِىَّ لَا تَدْخُلُواْ مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ وَٱدْخُلُواْ مِنْ أَبْوَٰبٍ مُّتَفَرِّقَةٍ _ [يوسف: ٦٧]. ذكر بعضُ المفسِّرين أنه خشي عليهم من الإصابة

(١) أخرجه ابن جرير وابن أبي حاتم، كما في «الدرّ المنثور» (٥/ ٤٦).

بالعين إذا دخلوا جميعًا من باب واحد، وهذا من عنايته ؛ وحرصه على أهل بيته.

ومن حرصه ؛ أيضًا أنه لَّما جمع الله شملهم ـ بعدما فعلوا بيوسف وأخيه ما فعلوا ـ لم يُثرِّب عليهم يعقوب ؛ ، بل بلغ من عظيم حرصه ؛ على ذرِّيته أنه ما زال يوصيهم ويربيهم على الخير إلى خروج الروح: + أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَـٰهَكَ وَإِلَـٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ _ [البقرة: ١٣٣].

فانظر قوله: + إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ _ أي: وهو على فراش الموت، يوصي أولاده وذريته بأهمّ ما عنده: أن يكون الأبناء على توحيد وعلى إيمان بالله لأ ، فلمَّا سألهم وأجابوه بأنهم لازمون للحقّ ـ وهو عبادة الله وحده وعدم الإشراك به ـ اطمأن قلبه ؛ ومات قرير العين.

يوسف ؛ : بلغ من حرصه على جمع شمل أهله وآل بيته كما سلف آنفًا أن قال لإخوته: + وَأْتُونِى بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ _ [يوسف: ٩٣]، وأنه لم يُثرِّب ولم يعنف إخوته، بل

حمد الله أن أخرجه من السجن وأنعم عليه وجمع شمله وجاء بإخوته، ولم يذكّرهم أمر البئر.

إسماعيل ؛ : كان كأبيه إبراهيم ؛ في عنايته بأهله. قال تعالى: + وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأۡمُرُ أَهۡلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرۡضِيّٗا _ [مريم: ٥٤-٥٥]، فأولى الناس بالداعي إلى الخير هم أهل بيته.

لوط ؛ : لما جاءه الملائكة وأخبروه أنّ قومَه سيُهلَكون قال: + رَبِّ نَجِّنِي وَأَهۡلِي مِمَّا يَعۡمَلُونَ _ [الشعراء: ١٦٩].

انظر إلى رحمته وخوفه عليهم، فاستجاب الله دعوته فقال **لأ** : + فَنَجَّيۡنَٰهُ وَأَهۡلَهُۥٓ أَجۡمَعِينَ ﴿١٧٠﴾ إِلَّا عَجُوزٗا فِي ٱلۡغَٰبِرِينَ _ [الشعراء: ١٧٠-١٧١]، وهي امرأتُه، حيث كانت تحثُّ قومَه على مُعاداة لوط ؛ وعلى أذيَّته.

موسى ؛ : كان يعتني بأهله قبل النبوَّة ويخشى الضرر عليهم: + إِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهۡلِهِۦٓ إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا سَـَٔاتِيكُم مِّنۡهَا بِخَبَرٍ أَوۡ ءَاتِيكُم بِشِهَابٖ قَبَسٖ لَّعَلَّكُمۡ تَصۡطَلُونَ _ [النمل: ٧] أي: تستدفئون.

فإذا كانت حاله مع أهله قبل النبوَّة فما بالك بعد أن

اصطفاه الله برسالاته وبكلامه؟ لا شك أنّ الأمر أعظم وأنّ الأثر أكبر.

زكريا ؛ : من بالغ عنايته بذرِّيته أنه دعا ربَّه أن يطيب أمر ذرِّيته قبل خلقها: +**قَالَ رَبِّ هَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةٗ طَيِّبَةًۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ** _ [آل عمران: ٣٨]، لاحظ أنه دعا ربَّه قبل خلق الذرِّية أن يجعلها طيِّبة.

نبيُّنا محمَّدٌ ج: كان أحرص الناس على أهله، وكان أعظم الناس عناية بأهله، وكان أحرص الناس على صلاح أهله.

ولهذا قال الله **لأ** له: + **وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصۡطَبِرۡ عَلَيۡهَاۖ** _ [طه: ١٣٢].

وكان **ج** أسرعَ الناس امتثالًا لأمر ربِّه، وكان يقول: «**خيرُكم خَيرُكم لأهله، وأنا خيركم لأهلي**»[(١)].

فمهما تعذر وتذرَّع الإنسان بكثرة المشاغل التي تشغله عن أهله فعُذره مردود غير مقبول، فالنبيُّ **ج** أكثر الناس مشاغل؛ كان يدعو إلى الله، ويُعلِّم الناس، ويؤمُّهم في الصلاة، ويقضي

(١) أخرجه الترمذي (٣٨٩٥) وصحّحه من حديث عائشة **ل** .

بينهم، ويُفتيهم، وكان يقود الغزو ويُجهِّز الجيوش والسَّرايا، وكان ج يَسِم إبل الصدقة، ويغزو، ويعود المرضى، ويستقبل الوُفود، ويُشَيِّع الجنائز... إلى غير ذلك، ومع ذلك يقول: «**خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي**».

ومن عنايته ج بأهله أنه لم يترك أحدًا دون عناية، لا صغيرًا ولا كبيرًا، فمثلًا لما أكل الحسن تمرةً من تمر الصدقة وأدخلها في فيه قال ج له: «**كخ كخ، أمَا شعرتَ أنّا لا نأكل الصدقة؟**»[(١)].

وكان ج يُلاعب الحسن والحسين، وكان يُلاعب زينبَ الصغيرة ويقول لها: «**يا زُوَينب! يا زُوَينب**» مرارًا[(٢)]، وكان إذا صعد الحسن على ظهره وهو ساجد بقي ج ساجدًا حتى ينزل[(٣)].

بل إنّ إحدى بناته ـ رضي الله تعالى عنهن ـ لمّا مرض وَلَدٌ

---

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة ت .

(٢) أخرجه الضياء في «الأحاديث المختارة» (٥/ ١٠٩) رقم (١٧٣٢، ١٧٣٣) من حديث أنس ت . وفي «الصحيحة» (٢١٤١): «سنده صحيح، رجاله ثقات».

(٣) أخرجه النسائي (٢/ ٢٢٩)، وأحمد (٣/ ٤٩٣) من حديث شدّاد ت .

لها صغيرٌ أرسلت إليه ليأتي فاعتذر، فألحَّت عليه ليأتي فأتى ج ورفع الصبيَّ الصغير ونفسُه تَقَعقع ـ يعني: أنها ستخرج ـ، فذرفت عيناه ج من رحمته وكمال شفقته ج[١].

ومن رحمته وعنايته بأهل بيته أنه لما جاءته ج ابنتُه فاطمة ـ رضي الله تعالى عنها ـ تسأله خادمًا فلم تلقَهُ ج، فأخبرت عائشةَ ل بذلك، ثمَّ أخبرت عائشةُ ل النبيَّ ج بذلك، فجاء ج إلى بيت عليٍّ وفاطمة ب ودخل عليهما فقال لهما: «**أَلَا أَدُلُّكُما على خَير لكما مِن خادم؟ تُكبِّران اللهَ عند النوم أربعًا وثلاثين، وتَحْمَدان ثلاثًا وثلاثين، وتُسبِّحان ثلاثًا وثلاثين، فذلكما خيرٌ لكما من خادم**»[٢].

والشاهد: مجيئُه ج من بيته إلى بيت علي وفاطمة ب ، وهذا دليلٌ على عظيم عنايته وحرصه على آل بيته عليه الصلاة والسلام ورضي الله تعالى عنهم.

---

(١) أخرج القصة الشيخان من حديث أسامة بن زيد ب .

(٢) متفق عليه من حديث علي ت .

تحملهم لإ أسئلة الناس

ومن أخلاق الأنبياء لإ : تحمل أسئلة الناس.

إنّ على داعي الخير ومن كان عنده علم أن يتحمَّل أسئلة الناس؛ لأنّ في ذلك مصالح كثيرة، ومنها:

أنها قُربة يتقرَّب بها إلى الله لأ ويؤجر عليها، وتزيل جهلًا عند السائل، ويستمرّ الأجر يجري عليه إذا انتشر خبر جوابه على أسئلة الناس.

فلا تتهاون في ذلك واحرص ـ رعاك الله ـ على أن تُعوِّد نفسك تحمّل أسئلة الناس؛ لأنّهم ما أتوا إليك إلّا لعلمك ولما آتاك الله، وانظر في سير الأنبياء لإ كيف كانوا يتحمَّلون أسئلة الناس، وسواء كانت تلك الأسئلة من الكفار أو من المسلمين، وسواء كانت تلك الأسئلة لتحصيل أمر دين أو دُنيا، فقد كانوا لإ يتحمَّلون كلَّ ذلك، فإن كانت تلك الأسئلة من الكفار فذلك لرجاء هدايتهم، وإن كانت من المسلمين فذلك لتكون الإجابة زيادة في تعليمهم لأمر دينهم.

موسى ؛ : يقول الله تعالى عن قوم موسى ؛ : +وَإِذْ قُلْتُمْ يَـٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ_ [البقرة: ٦١]. فهم سألوا موسى طمعًا في تنويع الأكل، ولم يسألوه عن مسألة علمية، فتحمَّل موسى ؛ ذلك، وتحمَّل أسئلة بني إسرائيل رجاءَ هدايتهم.

ولما أمرهم الله بذبح البقرة وأخبرهم موسى ؛ بذلك سألوهُ عدّة أسئلة وبينها لهم، حيث قال الله تعالى: + وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَـٰهِلِينَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ ۚ_ فبيَّن لهم + قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا ۚ_ فبين لهم +قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَـٰبَهَ عَلَيْنَا_ فبيَّن لهم، كلّ ذلك رجاءَ هدايتهم، لكن بعضهم جَحَد فكان عاقبةُ أمره خسرًا.

صالح ؛ : طلب قومُه منه آيةً، وليس هذا من السؤال

العلمي ولكن أرادوا آيةً على صدقه؛ لأنهم يزعمون أنه كاذب وهم يعلمون صدقَه، لكن من باب التعجيز: + مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿١٥٤﴾ قَالَ هَـٰذِهِۦ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ _ [الشعراء: ١٥٤-١٥٥].

عيسى ؛ : طلب منه بعضُ قومه أن يُنزِّل عليهم مائدةً من السماء، فذكّرهم بالله ـ وخوفهم منه، ولكن ألحّوا عليه، فسأل ؛ ربَّه **لأ** فقال ؛ : +ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ ۖ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ _ [المائدة: ١١٤].

فانظر كيف أنّ أنبياء الله **لا** يلبّون أسئلة أقوامهم وإن كان فيها تعنُّت إذا كان في إجابتهم مصلحة في سبيل هدايتهم.

نبيُّنا محمد عليه الصلاة والسلام: لقد كان **ج** يتحمَّل أسئلة قومه ويتحمَّل طلب شفاعتهم أو ما يطلبون منه أن يفعله لهم بقدر المستطاع إذا كان في ذلك مصلحة.

فكثرت عليه الأسئلة عليه الصلاة والسلام، ومع ذلك كان أرحبَ الناس صدرًا، وكان أوسع الناس بالًا.

+ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡأَهِلَّةِۖ ـ [البقرة: ١٨٩].

+ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَۖ ـ [البقرة: ٢١٥].

+ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ قِتَالٖ فِيهِۖ ـ [البقرة: ٢١٧].

+ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِۖ ـ [البقرة: ٢١٩].

+ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡيَتَٰمَىٰۖ ـ [البقرة: ٢٢٠].

+ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡمَحِيضِۖ ـ [البقرة: ٢٢٢].

+ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمۡۖ ـ [المائدة: ٤].

+ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡأَنفَالِۖ ـ [الأنفال: ١].

+ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرۡسَىٰهَاۖ ـ [الأعراف: ١٨٧].

+ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ ـ [الإسراء: ٨٥].

+ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِي ٱلۡقَرۡنَيۡنِۖ ـ [الكهف: ٨٣].

+ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡجِبَالِ ـ [طه: ١٠٥].

+ يَسْـَٔلُكَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيۡهِمۡ كِتَٰبٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِۚ ـ [النساء: ١٥٣].

هذه بعض الأسئلة ومع ذلك كان ج يُجيب بما علّمه الله، فإذا أمره الله بالإمساك أمسك، وهذا يتبيَّن في المعلم التالي:

ورعهم وحذرهم لإ
من القول على ا لأ بلا علم

ومن أخلاق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام: أنهم أورع الناس وأحذرهم من القول على الله بلا علم، ذلك لأنّ القول على الله بلا علم من أعظم الموبقات؛ بل هو أعظمها.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى:

«وقد حرَّم اللهُ سبحانه القولَ عليه بغير علم في الفُتيا والقضاء، وجعله من أعظم المحرَّمات، بل جعلهُ في المرتبة العُليا منها. فقال تعالى: + **قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ** _ [الأعراف: ٣٣]. فرتّب المحرَّمات أربع مراتب، وبدأ بأسهلها وهو الفواحش، ثمَّ ثنّى بما هو أشدّ تحريمًا منه وهو الإثم والظلم، ثمَّ ثلّث بما هو أعظمُ تحريمًا منهما وهو الشرك به سبحانه، ثمَّ ربَّعَ بما هو أشدُّ تحريمًا من ذلك كلِّه وهو القول عليه بلا علم، وهذا يعُمُّ القولَ عليه سبحانه بلا عِلم في

أسمائه وصفاته وأفعاله وفي دينه وشرعه»[(١)] .

ولقد كان أنبياء الله تعالى ‍لإ أبعدَ الناس وأحذر الناس من القول على الله بلا علم، ومن شواهد ذلك:

نوح ؛ : لما سأل الله نجاة ابنه عاتبه ربُّه ‍لأ : +فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۖ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِۦ عِلْمٌۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ _ [هود: ٤٦-٤٧]، فدعا ربه وخافه بعد أن استعاذ به أن يقول ما ليس له به علم.

عيسى ؛ : عندما سأله ربُّه ـ وهو أعلم به ـ: +ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّۚ _ [المائدة: ١١٦]؛ لأنّ الإلهية حقّ لله وحدَه فلا يليق بمخلوق أن يدّعيَها.

نبيُّنا محمد عليه الصلاة والسلام: أدّبه ربُّه فقال له: + قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ _ [الأنعام: ٥٠].

---

(١) «أعلام الموقِّعين عن ربِّ العالَمين» (١/ ٣٨).

إكرامهم لا للضيف

ومن أخلاق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام: أنهم أكرم الناس بالضيف.

إبراهيم ؛ : قص الله علينا خبره ؛ مع أضيافه فقال: + وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُواْ سَلَٰمًا قَالَ سَلَٰمٌ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ _ [هود: ٦٩]، وفي الآية الأخرى: +فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ _ [الذاريات: ٢٦-٢٧].

قال بعض العلماء: جمعت هذه الآية آداب الضيافة وأصول الكرم.

فإبراهيم ؛ جاءه الضيوف فجأة، والفرق معروف بين من استعدّ للضيوف قبل مجيئهم ومن أتوه فجأة، فكان ـ عليه الصلاة والسلام ـ أكرم الناس.

أيضًا من بالغ كرم الخليل ؛ أنّ الله تعالى قال عنه:

+فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ_، والرَّوَغان: من السرعة، فلم يتأخَّر ؛ في حق ضيافتهم.

+ فَجَآءَ بِعِجْلٍ_ ولم يأت ببعض عجل، ومن صفات هذه العجل أنه + سَمِينٍ_، وفي آية أخرى: + بِعِجْلٍ حَنِيذٍ_ أي: مشويّ على الحجر.

+ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ_ وهذا من أكمل الضيافة، وهو تقريب الطعام للضيف، ومعلوم أنّ أعراف الناس تختلف في ذلك، ولكن الشاهد أنّ إبراهيم ؛ قرَّب الطعام إلى أضيافه ثمَّ قال ؛ : +أَلَا تَأْكُلُونَ_ أداة عرض، وهذا من أبلغ الأدب في الضيافة.

أيضًا في تحيتهم لما قالوا + سَلَٰمًا_ قال +سَلَٰمٌ_ جملة اسمية متجدِّدة، أي: السلام عليكم دائمًا، فاختار ؛ أطيب الطعام، بأسرع الأوقات، وقرَّبه إليهم ولم يأمرهم بالذهاب إليه، وعرضه عليهم بألطف العبارات، كما أنه اختار أطيب ألفاظ الترحيب بالأضياف.

لوط ؛ : لما جاءه الأضيافُ أتاه قومُه يُهْرَعُون إليه

يريدون الفاحشة، فكان همّه ؛ هداية قومه وصيانة أضيافه:
+ قَالَ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ضَيۡفِي فَلَا تَفۡضَحُونِ ﴿٦٨﴾ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخۡزُونِ ﴿٦٩﴾ قَالُوٓاْ أَوَلَمۡ نَنۡهَكَ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِيٓ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ _ [الحجر: ٦٨-٧١]. أي: إن كنتم تريدون الزواج الشرعيَّ فاختاروا من بنات القرية، فكلهم بناتي في الإسلام؛ لأنّ النبيَّ أبٌ للمؤمنين جميعًا، أو من بناتي في بيتي أعطيكم إياهنّ بالزواج الشرعي، ولكن اتقوا الله في ضيفي ولا تفضحون وتُخزون.

ولهذا كان من أبلغ الإكرام في الضيافة أن يُدافع عن أضيافه، ويقول لمن أراد الاعتداء عليهم: هؤلاء بناتي تزوَّجوهن بالزواج الشرعي وكفّوا عن الفاحشة المحرَّمة لشناعتها وقبح التعامل مع الضيف.

نبيُّنا محمد ج: لقد كان ج أكرم الناس في ضيافته، بل كان ـ عليه الصلاة والسلام ـ يُؤْثر أضيافَه على نفسه بالطعام ولو كان قليلًا، فكيف إذا كان الطعام كثيرًا؟

خرَجَ مرَّةً فإذا بالصحابي الجليل أبي هريرة **ت** في الطريق، فعرف ـ عليه الصلاة والسلام ـ أنه جائع، يقول أبو هريرة **ت** : «... قعدتُ يومًا على طريقهم الذي يَخرُجون

منه فمرَّ أبو بكر فسألتُه عن آية من كتاب الله ما سألته إلّا ليُشبِعَني فمرَّ ولم يفعل، ثمَّ مَرَّ بي عُمَر فسألتُه عن آية من كتاب الله ما سألتُه إلّا ليُشبِعَني فمرَّ فلم يفعل، ثمَّ مرَّ بي أبو القاسم ج فتبسَّم حينَ رآني وعَرَف ما في نفسي وما في وجهي، ثمَّ قال «**يا أبا هرّ**»، قلتُ: لبَّيكَ يا رسول الله، قال: «**اِلْحَق**»، ومضى فتبعتُه فدخل فاستأذن فأذن لي، فدخل فوجد لبنًا في قدح فقال: «**من أينَ هذا اللبن؟**»، قالوا: أهداه لكَ فلانٌ أو فلانة. قال: «**أبا هرّ**»، قلت: لبيكَ يا رسول الله، قال: «**اِلْحَق إلى أهلِ الصُّفَّة فادعُهم لي**». قال: وأهل الصفّة أضيافُ الإسلام لا يأوُون إلى أهل ولا مال ولا على أحَد إذا أتته صدقةٌ بعث بها إليهم ولم يتناول منها شيئًا، وإذا أتته هديةٌ أرسل إليهم وأصاب منها وأشركهم فيها، فساءني ذلك فقلت: وما هذا اللبن في أهل الصفة؟! كنتُ أحقَّ أنا أن أصيبَ من هذا اللبن شربةً أتقوَّى بها، فإذا جاء أمرني فكنتُ أنا أعطيهم وما عسى أن يبلغني من هذا اللبن؟ ولم يكن من طاعة الله وطاعة رسوله ج بُدّ، فأتيتُهم فدعوتُهم فأقبلوا فاستأذنوا فأذن لهم وأخذوا مجالسهم من البيت. قال: «**يا أبا هرّ**»، قلت: لبَّيك يا رسولَ الله. قال: «**خُذ فأعطهم**». قال: فأخذتُ القدحَ فجعلتُ أعطيه الرَّجُل فيَشرَبُ حتى يروى، ثمَّ يردّ عليَّ القدح فأعطيه

الرجل فيشرب حتى يروى، ثم يرد عليَّ القدح فيشرب حتى يروى، ثم يرد علي القدح حتى انتهيتُ إلى النبيِّ ج وقد روي القوم كلهم، فأخذ القدح فوضعه على يده فنظر إليَّ فتبسَّم فقال: «**أبا هرّ**»، قلتُ: لبيك يا رسول الله، قال: «**بقيت أنا وأنت**»، قلت: صدقتَ يا رسول الله. قال: «**اقعُد فاشرب**»، فقعدتُ فشربت فقال: «**اشرب**» فشربتُ، فما زال يقول «**اشرب**» حتى قلت: لا والذي بعثك بالحقِّ ما أجدُ له مسلكًا! قال: «**فأرني**»، فأعطيته القدح فحمد الله وسمَّى وشَرِبَ الفَضْلَة»[1].

فأيُّ كرَم بعد كرمه عليه الصلاة والسلام؟!

(١) أخرجه البخاري (٦٤٥٢) من حديث أبي هريرة ت .

رحمتهم لا بالمدعوين

ومن أخلاق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام: أنهم أرحم الناس بالمدعوِّين رجاءَ هدايتهم.

فالداعي إلى الله لأ همّه أن يهتدي المدعوُّون.

نوح ؛ : يتحبَّب إلى قومه شفقةً وخوفًا عليهم: + أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ _ [الأعراف: ٦٢]، بل بيَّن خوفه عليهم: + يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ _ [الأعراف: ٥٩].

إبراهيم ؛ : لَمَّا جاء الملائكةُ وأخبروه بأنهم سيَهلكون قوم لوط جادلهم إبراهيم ؛ فقال الله عنه: + فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾ يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَآ إِنَّهُۥ قَدْ جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ ءَاتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ _ [هود: ٧٤-٧٦].

هود ؛ : آذاه قومُه ورَمَوه بالسَّفَه وتهكموا به: + قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ

مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ٦٦ قَالَ يَٰقَوۡمِ لَيۡسَ بِي سَفَاهَةٞ وَلَٰكِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦٧ أُبَلِّغُكُمۡ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنَا۠ لَكُمۡ نَاصِحٌ أَمِينٌ_ [الأعراف: ٦٦-٦٨]، ثمَّ بشَّرهم إن هم أطاعوه بالخير: +وَيَٰقَوۡمِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا وَيَزِدۡكُمۡ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمۡ وَلَا تَتَوَلَّوۡاْ مُجۡرِمِينَ_ [هود: ٥٢].

فأيُّ شفقة وأيُّ رحمةٍ كرحمة الأنبياء ﻹ بأقوامهم؟

صالح ؛ : سلك مَسلك إخوانه الأنبياء ﻹ فخاطب قومه وحذّرهم مغبّةَ المعصية: +وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ جَعَلَكُمۡ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعۡدِ عَادٖ وَبَوَّأَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورٗا وَتَنۡحِتُونَ ٱلۡجِبَالَ بُيُوتٗاۖ فَٱذۡكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ_ [الأعراف: ٧٤].

فعاندوا وأعرضوا، ومع ذلك لما رأى إعراضهم تولى عنهم وقال: +يَٰقَوۡمِ لَقَدۡ أَبۡلَغۡتُكُمۡ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحۡتُ لَكُمۡ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ_ [الأعراف: ٧٩].

فالشاهد: أنّ الأنبياء ﻹ كانوا أرحمَ الناس بأقوالهم.

لزومهم لإ لما يأمرون به وبعدهم لإ عما ينهون عنه

ومن أخلاق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام: أنهم ألزم الناس لأنفسهم فيما يأمرون الناسَ به، وأبعدُهم عمَّا ينهون الناس عنه.

شعيب ؛ : لقد أخبر الله عنه ؛ قوله: + يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنۡهُ رِزۡقًا حَسَنٗاۚ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُۚ إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ _ [هود: ٨٨].

نبيُّنا محمد ج: قال: + وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ _ [الأنعام: ١٦٣].

وهكذا لسانُ حال كلِّ نبيٍّ مع قومه: إذا أمرتكم بأمرٍ فأنا أوَّل المؤتمرين، وإذا نهيتكم عن شيء فأنا أوَّل المنتهين، وهذا من أعظم الأخلاق وأشرفها، ولهذا ذمَّ الله من خالف ما أمر الناسَ به، ويُفهم من ذلك مدحُ مَن أمر الناس وائتمر.

+ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ _ [الصف: ٢-٣]، + أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ وَأَنتُمۡ تَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ _ [البقرة: ٤٤].

استمرار دعوتهم ‰ للمخالف

ومن أخلاق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام: استمرار دعوتهم للمخالف وعدم قنوطهم منه.

نوح ؛ : استمرَّ يدعو قومَه ألف سنةٍ إلّا خمسين عامًا بكلِّ وسيلة كما ذكر الله **لأ** عنه في سورة نوح، واستمرَّ يدعو ابنَه إلى أن حال بينهما الموج.

نبيُّنا محمد عليه الصلاة والسلام: كان يدعُو عمَّه أبا طالب حتى خرجت روحُه، والنبيُّ ج عند فراش الموت يقول له: «**يا عمّ، قل لا إله إلا الله، كلمةً أحاجُّ لك بها عند الله**»[(١)].

وزار ج الغُلامَ اليهوديَّ ودعاه فاستجاب له ومات مسلمًا، فقال ج: «**الحمدُ لله الذي أنقذهُ من النار**»[(٢)].

---

(١) متفق عليه من حديث المسيب ت ، كما تقدّم.

(٢) أخرجه البخاري (١٣٥٦) من حديث أنس ت .

استمرار عنايتهم لإ بمن تبعهم

ومن أخلاق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام: استمرار عنايتهم وحرصهم على أهل الإيمان من بيوتهم وأمّتهم، وذلك من باب الزيادة في تثبيتهم.

يعقوب ؛ : كان حريصًا على ذرِّيته يدعوهم مع أنهم أهل إيمان. + أَمۡ كُنتُمۡ شُهَدَآءَ إِذۡ حَضَرَ يَعۡقُوبَ ٱلۡمَوۡتُ إِذۡ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعۡبُدُونَ مِنۢ بَعۡدِي قَالُواْ نَعۡبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗا وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ _ [البقرة: ١٣٣].

فأراد ؛ أن يزيدهم ثباتًا.

تحملهم ﷺ أذية أقوامهم

ومن أخلاق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام: تحمُّل أذية أقوامهم.

فقالوا عنهم: سفهاء، وقالوا: شعراء، وقالوا: إنهم أهل جنون، ومع ذلك كان الأنبياء ﷺ أرحبَ الناس صدرًا وأكثر الناس تحملًا، وهكذا الداعي عليه أن يتحمَّل أذية السفهاء حتى ينال الأجر من الله ويرجو بذلك هدايتهم ودخولهم في دعوة الخير.

عدم شماتتهم ‹ بالعصاة إذا عوقبوا

ومن أخلاق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام: أنهم لا يشمتون بالعصاة إذا وقعت العقوبة بهم.

فالشماتة ليست من الخُلق الفاضل، والأنبياء ‹ من أبعد الناس عن الشماتة عند حلول العقوبات، وانظر كيف كان أمر الأنبياء وحالهم ‹ عندما حلّت العقوبة بمخالفيهم:

قوم صالح ؛ : + فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ _ [الأعراف: ٧٨]، هل شمت أو تهكّم صالح ؛ بهم؟ قال الله تعالى عنه: + فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ _ [الأعراف: ٧٩]، منتهى الرقة والعطف.

قوم شعيب ؛ : + فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩١﴾ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَاۚ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيْبًا كَانُواْ هُمُ ٱلْخَٰسِرِينَ _ [الأعراف: ٩١].

والشاهد: + فَتَوَلَّىٰ عَنۡهُمۡ وَقَالَ يَٰقَوۡمِ لَقَدۡ أَبۡلَغۡتُكُمۡ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَنَصَحۡتُ لَكُمۡۖ فَكَيۡفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوۡمٖ كَٰفِرِينَ _ [الأعراف: ٩٣].

فعليك يا من تدعو إلى الخير إذا رأيتَ من ابتُلي أن تحمد الله لأ . قال عليه الصلاة والسلام: «**مَن رأى مُبتلى فقال: الحمدُ لله الذي عافاني ممَّا ابتلاكَ به وفضَّلني على كثيرٍ ممَّن خَلَقَ تفضيلًا، لم يُصبهُ ذلك البلاء**»[1].

(١) أخرجه الترمذي (٣٤٣٢) من حديث أبي هريرة ت .

حرصهم لإ على البعد عن أسباب الجهالة

ومن أخلاق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام: أنهم أحرص الناس على البُعد عن أسباب الجهالة.

نوح ؛ : لما سأل ربَّه نجاةَ ابنه لأنه لم يعلم حالَهُ نهاه ربُّه تعالى: +قَالَ يَـٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَـٰلِحٖۖ فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۖ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَـٰهِلِينَ _ [هود: ٤٦]. فلمَّا علم نوح ؛ بنهي ربّه لأ له سارع ؛ إلى البعد عن أسباب الجهالة فقال: +قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنۡ أَسۡـَٔلَكَ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞۖ وَإِلَّا تَغۡفِرۡ لِي وَتَرۡحَمۡنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلۡخَـٰسِرِينَ _ [هود: ٤٧].

موسى ؛ : لما أمر قومه بذبح البقرة **+قَالُوٓاْ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوٗاۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡجَـٰهِلِينَ** _ [البقرة: ٦٧]. فالاستهزاء بالناس جهالة، وهذا فيه البُعد عن أسباب الجهالة.

حرصهم لإ على التزود من العلم

ومن أخلاق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام: أنهم أحرص الناس على التزوُّد من العلم.

ولذا رحل موسى ؛ إلى الخضر ؛ ليزداد منه علمًا.

وأمر الله تعالى نبيَّه محمدًا ـ عليه الصلاة والسلام ـ أن يسأله الزيادة من العلم فقال: +وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا_ [طه: ١١٤]، وكان عليه الصلاة والسلام يسأل ربَّه العلم النافع.

عظيم ثقتهم لإ با لأ
وحسن ظنهم به ـ

ومن أخلاق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام: عظيم ثقتهم بالله لأ وحسن ظنهم بالله ـ .

فالأنبياء لإ هم أحسن الناس ظنًّا بالله لأ. قال عليه الصلاة والسلام: «**قال الله تعالى: أنا عند ظنِّ عبدي بي؛ إن ظنَّ خيرًا فله، وإن ظنَّ سوءًا فعليه**»[1].

شعيب ؛ : من حُسن ظنِّه وقوَّة يقينه أنّ الله لأ سينصرُه وينتقم من الكافرين قال: +**عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَاۚ رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ** _ [الأعراف: ٨٩].

موسى ؛ : من عظيم ظنه بالله الظن الحق أنه سينصر المؤمنين ويهلك الكافرين قال لقومه: + **ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ** _ [الأعراف: ١٢٨]، وفي سورة الشعراء: + **فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ** _ [الشعراء: ٦١-٦٢].

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٢/ ٣٩١) من حديث أبي هريرة ت .

وبعد ذلك؛ اعلم أنّ ما ذُكر من أخلاق الأنبياء لإ هو قليل من كثير، فعليهم وعلى نبيِّنا أفضل الصلاة والتسليم.

من ثمرات التخلّق بأخلاق الأنبياء ﵈

لما كان أنبياءُ الله ﵈ أفضل الناس أجمعين؛ كان من لازم ذلك أنّ أخلاقهم أحسن الأخلاق وأزكاها وأطيبها وأعلاها، وكلّ مسلم يحرص على التخلّق بشيءٍ من تلك الأخلاق العظيمة، إلّا أنّ دُعاة الناس للخير هم أولى الناس بسلوك مسلك تلك الأخلاق؛ لأنّ دعوة الناس إلى الخير هي وظيفة الأنبياء ﵈ .

فإذا سلك داعي الخير منهج أخلاقهم في دعوتهم جنى من رياض أخلاقهم وآدابهم ثمارًا كثيرةً، فمن ثمرات التخلق بأخلاق الأنبياء ﵈ :

١- **زيادة محبَّة الأنبياء ﵈ في القلوب**: وذلك أنّ المسلم إذا أمعن النظر في عظيم أخلاق الأنبياء ﵈ وكيف كانوا أعظم قدوة في طيب ألفاظهم وحُسن أفعالهم مع ما أصابهم من عناد المُعاندين وأذيتهم.. فإذا تذكّر المسلم ذلك زاد حبُّه للأنبياء ﵈ وزاد رغبةً في سماع سيَرِهم وفضائلهم، وأبغض أعداءهم وشانئيهم.

٢- **امتثال أمر الله تعالى لنبيِّنا محمد ج:** +فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ_ [الأنعام: ٩٠]، فنحن مأمورون بالاقتداء بنبيِّنا ج، كما قال الله تعالى: + لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأَخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا _ [الأحزاب: ٢١]، فاقتداء المسلم بالنبيّ ج اقتداءٌ بجميع الأنبياء لإ .

٣- **زيادة الإيمان بالله لأ:** ذلك لأنّ أخلاق الأنبياء لإ تجمعُ فضائل الأعمال والأقوال، والتمثل بفضيلة واحدة يزيد إيمان العبد، فكيف بفضائل كثيرة؟ ناهيك إذا كانت تلك الفضائل من أعمال الأنبياء لإ وأقوالهم.

٤- **البُعد عن تلبيس الشيطان وما يحسِّنه للعبد من سيِّئ الأقوال والأعمال:** فإذا تخلق العبدُ بأخلاق الأنبياء لإ ثم أراد الشيطان تزيين سيِّئ العمل له تذكّر العبدُ أنّ الأنبياء لإ أبعدُ الناس عن ذلك فتتيقّظ نفسُه ويزجرُها ويردعُها عن الإقدام عليه. + إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ _ [الأعراف: ٢٠١].

٥- **حُسن التعامل مع المدعوِّين من الناس عمومًا:** فالأنبياءُ لإ يبلِّغون أقوامهم رسالات الله لأ لهم ويُرغِّبونهم في

الخير ويحذِّرونهم من الشرّ، ويتحمَّلون عنادهم رجاءَ هدايتهم، ولا يشمتون بهم عند وقوع العقوبات عليهم، فتلك الأخلاق النبوية إذا تذكّرها دُعاة الخير ولزِموها عَظُم أجرُهم وكثُر نفعُهم، وكانوا قدوةً لغيرهم في جميع أمورهم.

٦- **حُسن التعامل مع الأقربين**: بدءًا بالوالدين والأولاد؛ فالمسلم يعتني ببرّ والديه كما كان الأنبياءُ ﵏ كذلك، ويعتني بتربية أولاده كما كان الأنبياء ﵏ كذلك، ويصلُ رحِمَه ويتودَّد إليهم كما كان الأنبياءُ ﵏ كذلك.

وهاهنا يقال: إنّ من أهمل شأن والديه لحجَّة التفرُّغ لدعوة الناس أو طلب العلم فإنّ تلك الأعذار واهية مردودة؛ ذلك أنّ الأنبياء ﵏ هم أحرص الناس على الدعوة وهم مع ذلك أبرُّ الناس بوالديهم وأكثر الناس عنايةً بأولادهم وبيوتهم.

فإهمال أمر الوالدين والأولاد منافٍ لأمر الله تعالى ومجانبٌ لأخلاق الأنبياء ﵏ ، ولذا فمع كثرة مشاغل النبيِّ ﷺ من استقبال وفود وقيادة جيوش وعيادة مرضى وتشييع جنائز وتقسيم غنائم وصدقات وزكوات... مع ذلك كلِّه فإنه ﷺ كان قائمًا بأمر أهله وبيوته أتمَّ قيام، كما قال ﷺ: «**خيرُكم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي**».

٧- **تعميق معنى القدوة في النفوس**: فإذا استشعر المسلم تلك

الأخلاق النبيلة والخصال الشريفة وكيف أثرُها على أصحابها والعاملين بها والسامعين عنها تعمَّق معنى أثر القدوة في نفسه، ولزم ذلك السَّمت والهدي لينفع نفسَه أولًا وينفع غيره ثانيًا، فالقدوة الفعلية دعوة مؤثِّرة، فكيف إذا ضمَّ إليها القدوة القولية من طيب الألفاظ وحُسنها؟

٨- **معرفة مكامن النقص في النفس**؛ وذلك أنّ أخلاق الأنبياء ‹ مرآةٌ صافية تكشف لناظرها حسن أموره وسيِّئها، فإذا عرض المرءُ أخلاقَه وتصرُّفاته على مرآة أخلاق الأنبياء ‹ عرف - بل تيقّن - بما يلزم من الأخلاق وبما يجانب فيها، فجميع ظروف حياته وأطوار مجتمعه قد مرَّ بالأنبياء ‹ أعظم منها وأشدّ، ومع ذلك لم يفارقوا أحسن الأخلاق في سرَّائهم وضرَّائهم مع عامَّة الناس وخاصَّتهم.

٩- **الحذر من العُجب والرِّياء والبُعد عن أسبابها ولزوم سبيل الإخلاص لله تعالى**: وبيان ذلك أنّ داعي الخير إذا أقبل الناسُ إليه وتكاثرت الجموع عليه فربما تُعجبُه نفسُه ويرغب في سماع مدحهم وثنائهم، وهذا من أعظم أبواب تلبيس الشيطان.

لكنه إذا ذكر أخلاق الأنبياء ‹ وكيف كانوا أخلق الناس

لله تعالى ـ مع ما أظهر الله تعالى لهم من آيات عظيمة أبهرت أقوامهم وأدحضت حُجج المعاندين، ومع ما أنزل الله لأ على المخالفين لهم من العقوبات المتنوِّعة ـ ومع كل ذلك كانوا لإ أخلص الناس لله لأ وأنزل الناس وأكثرهم مجانبةً للرِّياء والسُّمعة.

١٠- **الدفاع عنهم وعدم التهاوُن بالقدح في آحادهم ولو من طرف خفيّ:** فالعاقل تأنف نفسُه ولا ترضى بالقدح في المسلم المستور، فكيف بمن ظهر فضلُه من عامَّة المسلمين؟ فكيف بعُلمائهم؟ بل إذا كان من الديانة الدفاع عن علماء السنّة المشهود لهم بالعلم والفضل، فكيف يكون الشأن في قدوة العلماء ومصابيحهم وهم أنبياء الله ورسُله لإ ؟!

١١- **البُعد عن أبواب اليأس والقنوط والحذر من تلبيس الشيطان وتثبيطه:** فإذا قدَّمتَ نصيحةً لأحدٍ فردَّها ولم يقبلها فلا تيأس منه ولا من غيره ممَّن يستحقّ النصح، بل استمرَّ في دعوة المقصِّرين بعلم ورفق، ولو قُدِّر عدم استجابة الأكثرين لك فتذكّر أنّ بعض الأنبياء لإ مع طول مدّة حياته لم يستجب له إلّا قلّة من قومه، كنوح ؛ : + وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ _ [هود: ٤٠]، بل إنّ بعض الأنبياء لإ

لم يستجب له أحدٌ البتّة كما جاء في الحديث عنه ج: «**عُرِضَتْ عَلَيَّ الأممُ فرأيتُ النبيَّ ومعهُ الرَّهط، والنبيَّ ومعه الرَّجُل، والنبيَّ وليس معهُ أحَد ...**»[١]، ومع ذلك كلِّه كانوا ـ عليهم الصلاة والسلام ـ مستمرِّين في دعوتهم لأقوامهم على أحسن سيرة وأصدق سريرة، فكيف بمن يغرق في بحر اليأس والقنوط من أوَّل مرَّة أو مرَّات؟

***

اللهمَّ إنا نسألك بأسمائك الحُسنى وصفاتك العُلى أن تهدِيَنا لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلّا أنت، وأن تصرف عنَّا سيِّئَها لا يصرفُ سيِّئها إلّا أنت.

اللهمَّ كما حسَّنتَ خلقَنا فحسِّن أخلاقَنا.

اللهمَّ أنّا نعوذُ بك من منكرات الأخلاق والأهواء والأدواء.

وصلى الله وسلّم على نبيِّنا محمد وآله وصحبه وجميع الأنبياء وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدِّين.

---

(١) متفق عليه من حديث ابن عباس ب .

ة


تم بحمد الله